مجلة الرائد

العدد : ١٨٢ الموافق في ربيع أول ١٤١٧ هجري ٨ / ١٩٩٦ ميلادي

كلمات في الصميم : العدل أساس العمران	بقلم : صلاح الدين بن إبراهيم

تحدث أحد الفضلاء يوماً فقال : زارني أمس شاب عقب صلاة الجمعة فقال والغضب يتفجر من عينيه : أرأيت إلى خطيب الجمعة ؟!... لقد عرّض بي في خطبته ، وما لهذا شرعت الخطب ، وإذا كان يريد النصيحة فهذا ليس سبيلها !!.

قلت للشاب : هوّن عليك ، واسمح لي أن أسألك : هل أنت مقترف للمخالفات الشرعية التي ذكرها الخطيب ؟!

قال : نعم ، ولكن نيته ليست خالصة لله... وخطبته كلمة حق أراد بها باطلاً !!.

قلت له : تمهل يا بني ولا تعجل ، فأنت مسؤول أمام الله عز وجل عن كل كلمة تتفوه بها ، وراع أن يكون غضبك لله عز وجل ، واحذر وساوس الشيطان. وأنصحك بالنظر إلى الخطبة من حيث مضمونها وأسلوبها ، فإن كانا مقبولين شرعاً... فلا اعتراض... وإن وقع خلل شرعي فقد وجب التصحيح بأسلوب يرضاه الله تعالى. فسكت الشاب على استحياء.

ومضت الأيام... وفي مساء يوم جمعة زارني الشاب نفسه وقال منتشياً : لقد أحسن خطيبنا اليوم... فقد أصاب من فلان وجماعته مقتلاً... إنه شجاع وعنده وعي كبير !

قلت للشاب : إن الإسلام يعلمنا أن نزين أعمالنا وتصرفات من يخالفنا في رأي ونحوه بميزان الشرع... ويأمرنا بالعدل حتى مع المخالفين في الدين... ولعلك تذكر غضبتك المضرية يوم تحدث الخطيب نفسه عن أمور شرعية كنت واقعاً فيها... بينما أراك اليوم فرحاً مسروراً بخطبة مثلها... ولكنها تناولت تصرفات غيرك !! فما رأيك في ذلك يا بني ؟!

تأملت قصة الرجل الفاضل فوجدت أن حقيقتها تتكرر وإن اختلفت الصور ، وازدحمت في ذاكرتي قصص شهدتها أو سمعتها تؤكد جميعها على اختلال ميزان العدل والإنصاف في قلوب عامة أبناء الحركة الإسلامية... فضلاً عن عموم المسلمين !! وتساءلت : هل هناك ظلم أشد من اتهام الناصحين ورد كلامهم... إذا كانت النصيحة موجهة إليّ أو إلى جماعتي التي أنتسب إليها... مع الاعتراف بأنهم يقولون الحقيقة ؟! وهل يوجد عدوان أكبر من التهليل لكل ما يمس إخوة آخرين... وقبول ما يقال فيهم قبل التثبت من صحة ما ينسب إليهم ؟

إن الأمر جد خطير... لأنه يتعلق بـِ « الإيمان » و « التقوى » وأسوق في هذا المقام آية وحديثاً نبوياً فيهما ذكرى لمن كان له قلب يعظم أوامر الله تعالى ويؤثر الآخرة على الأولى :

١- يقول الله عز وجل : { **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداءَ بالقسط ولا يَجرمَنَّكم شَنَئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقربُ للتقوى واتقوا اللهَ إنّ الله خبير بما تعملون** } [المائدة : ٨]

٢- ويقول عليه الصلاة والسلام : « **أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله عز وجل** » [رواه الطبراني وغيره بإسناد حسن]

فيا رجال الدعوة الإسلامية :

ربوا على الإنصاف فتيان الحمى تجدوهُمُ كهف الحقوق كهولا
فهو الذي يبني الطباع قويمةً وهو الذي يبني النفوس عُدولا
ويقيم منطقَ كلِّ أعوج منطقٍ ويريه رأياً في الأمور أصيلا

وإياكم ثم إياكم أن تكونوا ممن حذر منهم الشاعر :

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى روح العدالة في الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحظ بصيرةٍ جاءت على يده البصائر حُولا
وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى ومن الغرور فسمِّه التضليلا